

الحلقة الخامسة والثلاثون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي الحديث عن قراراته العملية. فتكلم عن معرفة الله لكل أعمال الإنسان الذي لا يعرف المستقبل. وأن الجميع يلقون نفس المصير الذي هو الموت. وأن قلوب بني البشر مفعمة بالشر. وأن الذي مازال حيًا له رجاء، بينما الذي مات قد انتهت فرصته لفعل أي شيء.

كيف تنتظر إلى الحياة يا صديقي؟ هل تنتظر إليها بإيجابية وتفاؤل رغم الظروف الصعبة التي قد تمر بها؟ وهل تُقبل على الحياة بكل جد ونشاط لكي تتمتع بها؟ أم أنك تنتظر إليها بسلبية وتشاؤم مما ينعكس على سلوكك وعلاقاتك مع الآخرين؟ لقد أكد سليمان الحكيم كما علمنا في اللقاء الماضي، على حقيقتين هامتين هما عدم معرفتنا للمستقبل وحتمية الموت. لكنه وأمام هذا الواقع المؤلم نراه يدعونا للتمتع بالحياة، والاستفادة من الوقت الذي وضعه الله بين أيدينا. وليس العكس أي أن نقبع في بيوتنا يائسين نندب حظنا.

كتب الحكيم قائلاً: « فاذهب وتمتع بأكل طعامك، واشرب خمرِكَ بقلب منشرج، لأن الرب قد رضي الآن عن أعمالك » (الجامعة ٧:٩ تفسيرية). أي أنه يجب علينا بالرغم من عدم معرفتنا للمستقبل، وبالرغم من مصيرنا المحتّم الذي هو الموت، أن نتمتع بالحياة بفرح وتفاؤل. إن الله هو الذي أعطانا هذه السنين القليلة، قصرت أم طالت، لكي نستمتع بالحياة ونستفيد منها. وهذا يعني أن نتمتع بالحياة نفسها. أي بالدراسة والعمل الذي نقوم به، وبعلاقاتنا العائلية والاجتماعية، وبالمشاريع التي نخطط لها ونسعى لتحقيقها، وبالطبيعة الجميلة الخلابة التي أوجدها الله.

وتابع سليمان الحكيم نصائحه قائلاً: « لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يُعوزَ رأسك الدهن » (الجامعة ٨:٩). إن الثياب البيضاء تشير إلى سلوك الطهارة وعدم تلويثها بالشر. أي أن الحكيم يدعونا أثناء تمتعنا بالحياة، لكي نسلك بطريق الاستقامة

والحق، وأن نبتعد عن فعل الشرور. لكن الواقع يكشف لنا أنه من المستحيل علينا أن نحافظ دائماً على ثيابنا بيضاء، إذ لا بد أن تتلوث ثيابنا بأفعال الشر التي نقوم بها.

ولهذا يأتي السؤال: كيف بإمكاننا أن نحافظ على نفوسنا طاهرة يا ترى؟ والجواب إن المخلص المسيح هو الوحيد القادر على حفظ نفوسنا وسلوكنا. وبتعبير آخر إن الإيمان بالمخلص المسيح هو الذي يمنحنا القوة الروحية لكي نغلب أهواء الشر في نفوسنا، ونستطيع بالتالي أن نسلك بالاستقامة ونبتعد عن كل ما هو فاسد وشرير. فهل تراك تأتي بالإيمان مستمعي الكريم إلى المخلص المسيح؟

ثم انتقل سليمان الحكيم للحديث عن جانب هام من جوانب التمتع بالحياة، فكتب قائلاً: «التذَّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس» (الجامعة ٩:٩). لقد سنَّ الله شريعة الزواج لكي يحفظ النسل البشري، وليتمتع الإنسان بالحياة مع زوجته التي اختارها. ولهذا دعا الحكيم كل إنسان لكي يتمتع بحياته مع المرأة التي أحبها، وأرادها أن تكون شريكة حياته. وكان سليمان قد كتب في سفر الأمثال قائلاً: «من يجد زوجةً يجد خيراً وينال رضىً من الرب» (أمثال ١٨: ٢٢).

صحيح أن أيام الإنسان تبدو باطلة أي لا نفع منها، لكن بالرغم من ذلك عليه أن يتمتع بها من خلال الزواج، لكي يعوّض عن تعبهِ وكفاحه الذي يبذله. ومن المهم أن لا يشوّه الإنسان مؤسسة الزواج ويستغلها لتحقيق أغراضه وأهوائه الخاصة، وهو الذي يحصل مع الأسف في أحيان كثيرة.

ثم عاد سليمان الحكيم ليتكلم عن الموضوع الذي بدأنا به لقاء اليوم، أي حقيقة حتمية الموت. فكتب قائلاً: «كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها» (الجامعة ٩: ١٠). دعانا الحكيم لكي لا نجعل حقيقة حتمية الموت أن تؤثر على نظرتنا للحياة. بل على العكس أن نستفيد من الوقت الذي منحنا إياه الله، لكي نعمل بكل قوة، ونحقق أهدافنا وآمالنا، وفي نفس الوقت أن نتمتع بحياتنا. لأنه في الهاوية أي في الموت، لن نستطيع إنجاز أي أمر.

أجل مستمعي إن الحياة جميلة إذا عرفنا كيف نستفيد منها، ونتمتع بها. ولهذا علينا أن نُقدمَ على الحياة بتفاؤل وإيجابية، وأن لا نسمح لليأس والفشل أن يتسربا إلى نفوسنا. لكن أهم أمر يجب أن نتحلّى به هو ثقتنا الكاملة بالله، وعلاقتنا المتينة معه.

صديقي المستمع، هل تعلم أن الله الخالق هو الآب السماوي؟ وهل تعلم كيف بإمكانك أن تكون لك علاقة قوية مع هذا الأب السماوي؟ إن هذا يحصل عندما تأتي إليه تائباً عن ذنوبك، وتؤمن بالمسيح المخلص الذي مات على الصليب فداء لك. وليس هذا فحسب بل تصبح من أولاد الله. كتب البشير يوحنا عن المسيح قائلاً: « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (بشارة يوحنا ١: ١١-١٢).

ألا تود مستمعي أن يصبح الله الخالق أباك السماوي؟ وأن تغدو من أولاد الله؟ لم لا تأتي بالإيمان إلى المخلص المسيح، الذي وحده فقط يجعلك من أولاد الله. وعندها تستطيع أن تتمتع حقاً بحياتك، ويصبح الله والدك السماوي، وتحظى بالغفران، وتتأكد من نوالك الحياة الأبدية.